وقائع مؤتمر

الإمام الحسين الدولي الرابع عليه السلام

٢٢٩ / ٣٠٧٠٦٣
م ٤٩٨ مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي (٤ : ٢٠٢٣: كربلاء).
وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي الرابع: القرآن الكريم وقضايا المجتمع المعاصرة/ المؤتمر . - ط١. -
كربلاء: دار الوارث ،٢٠٢٣.
٨٢١ص. :٢٤سم
١. القرآن والمجتمع - مؤتمرات. / . العنوان.
م. و .
٣٦١٥ / ٢٠٢٣
المكتبة الوطنية / الفهرسة أثناء النشر

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٣٦١٥) لسنة ٢٠٢٣

الناشر: دار القرآن الكريم - العتبة الحسينية المقدسة
التصميم والاخراج الفني: قحطان عامر الطائي
الطبعة/ الأولى
سنة الطبع/ ١٤٤٥ هـ / ٢٠٢٣
المطبعة/ دار الوارث للطباعة والنشر

تمت ترجمة الملخصات في العتبة الحسينية المقدسة، مركز الاعلام الدولي،
ترجمة: أبا الحسن عباس

وقائع مؤتمر

الإمام الحسين عليه السلام الولي الرابع

المنعقد بعنوان

القرآن الكريم وقضايا المجتمع المعاصرة

بالتعاون مع جامعة الزهراء عليها السلام للبنات في كربلاء المقدسة

للمدة من ١٥-١٧-٢٠٢٢م

الموافق ٨-١٠ شوال ١٤٤٣هـ

اللجنة المشرفة

أ. د. زينب عبد الحسن الملا السلطاني/ رئيس جامعة الزهراء عليها السلام للبنات

أ. د. نجاح فاهم العبيدي/ جامعة كربلاء

د. الشيخ خير الدِّين الهادي/ رئيس قسم دار القرآن الكريم

د. السيد مرتضى جمال الدِّين/ المعاون العلمي لرئيس قسم دار القرآن

اللجنة العميَّة

أ.د. ضرغام كرم كاظم الموسوي/ عميد كليَّة العلوم الإسلاميَّة جامعة كربلاء

أ.د. خليل شكري هيَّاس/ رئيس قسم اللغة العربيَّة جامعة الموصل

أ.م.د. طلال فائق مجبل الكمالي/ عميد كليَّة العلوم الإسلاميَّة جامعة الوارث

أ.م.د. سحر ناجي فاضل المشهدي/ الكليَّة التربويَّة المفتوحة مركز النجف الأشرف

أ.م.د. خالد محمود حمي/ جامعة الموصل

م. د. عماد طالب موسى/ وزارة التربية مديريَّة تربية كربلاء

م. د. عمَّار حسن عبد الزَّهرة/ وزارة التربية مديريَّة تربية كربلاء

د. باسم دخيل مراد العابدي/ كليَّة المعارف الإسلاميَّة

م. م. علي فليح علي الفتلاوي/ جامعة كربلاء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ النساء (١١٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدِّمة:

الحمد للهِ الذي لا تُدركه الشواهد، ولا تحويهِ المشَاهِد، ولا تراهُ النَّواظِر، ولا تحجُبُهُ السَّوَاتِر، الـدَّالِ على قدمهِ بحدوثِ خلقِهِ على وجـودِه، وبحدوثِ خلقهِ على وجودِه، وباشتباهِهم على أن لا شَبَه له، الذي صدق في مِيعادهِ، وارتفع عن ظُلمِ عِباده، وقامَ بالقِسطِ في خلقِهِ، وعَدَلَ عليهِم في حكمه، مستشهدًا بحدوثِ الأشياءِ على أزليته..

اللهمَّ اجعل شرائف صلواتِك، ونوامي بركاتِك، على محمَّدٍ عبدِك ورسولِك، الخاتِم لمَا سبق، والفاتِح لما انغلق، والمُعْلن الحقَّ بالحقِّ، والدَّافع جيشات الأباطيل، والدَّامغِ صولاتِ الأضاليل.

وصلِّ اللهمَّ على أهلِ بيته، شجرةِ النُّبوَّة، ومحطِّ الرِّسالة، ومختلفِ الملائكة، ومعادن العِلم، وينابيعِ الحُكم.

وبعد ...

فقد عمل قسم دار القرآن الكريم في العتبة الحسينيَّة المقدَّسة على رعاية كتاب الله تعالى بشتَّى الجوانب، وبذل الجهود الكبيرة من أجل توثيق الصِّلة بينه وبين المجتمع على اختلاف شرائحه، وكان نتيجة ذلك انبثاق مشاريع كثيرة يطول ذكرها، ومن تلك المشاريع إقامة المؤتمرات السنويَّة الدَّوليَّة؛ بغية تصدير المعرفة القرآنيَّة إلى المؤسَّسات العلميَّة والحوزويَّة والأكاديميَّة، ومن جملة المؤتمرات التي يرعاها قسم دار القرآن الكريم في العتبة الحسينيَّة المقدَّسة مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدَّولي السنوي، وقد عُقِد في نسخته الرابعة بعنوان: (القرآن الكريم وقضايا المجتمع المعاصرة) الموافق ١١/ ٥/ ٢٠٢٢ م.

وذلك لما لهذا الموضوع من أهميَّة قصوى في الحياة المعاصرة نتيجة ظهور آفاتٍ مجتمعيَّةٍ كثيرةٍ، فكان لزامًا أن تتصدَّى المؤسَّسات العلميَّة لوضع بعض المعالجات، وأهمُّ الأسس في هذا الجانب القرآن الكريم بوصفه العماد الأساس في تربية الإنسان وضمان الحياة الكريمة له، بعيدًا عن الشذوذ والآفات المجتمعيَّة، فكان القرآن الكريم خير معتمدٍ في مواجهة ما تعمل عليه الجهات العالميَّة المنحرفة في إشاعة السلبيات بين فئات المجتمع؛ إرضاءً لانحراف سلوكهم، أو بغية تحقيق مآرب مشبوهةٍ، أو منافع شخصيَّة، أو تحقيق هدفٍ شيطاني تسعى إليه القوى المهيمنة الظالمة في حربها لله تعالى وأوليائه، ومن هنا فإنَّهم بدأوا باستهداف القرآن الكريم حرقًا فيه وتمزيقًا له وبثًّا للشبهات في مضامينه؛ لمعرفتهم بقوَّة تأثيره في مواجهة انحرافهم ومآربهم، ولهذا فإنَّ علينا أن نبذل كلَّ ما بالوسع من أجل إيصال رسالة القرآن الكريم إلى كلِّ أرجاء المعمورة؛ حتَّى يعمَّ نوره كلَّ موطنٍ فيها وتكون الحجَّة البالغة لله تعالى، وعلى هذا الأساس كان انطلاق دار القرآن الكريم في عملها المعرفي من جعل القرآن الكريم والعترة الطاهرة أساسًا في تبنِّي المشاريع الإصلاحيَّة، إيمانًا بحديث الثقلين الذي جعل الرسول صلى الله عليه وآله القرآن وأهل بيته العاصمين من الضَّلال، ومن هنا عوَّل قسم دار القرآن الكريم في هذا المؤتمر على مراقبة بعض الأطر الإصلاحيَّة في القرآن الكريم على وفق ستِّة محاورٍ هي:

١. أنماط العلاقات الاجتماعيَّة على وفق المنظور القرآني.

٢. المجتمع المثالي في ضوء النَّصِّ القرآني.

٣. تحديات الحياة اليوميَّة وصورة معالجتها قرآنيًّا.

٤. القرآن والتغيرات الثقافيَّة.

٥. تقييم المشكلات الاجتماعيَّة المعاصرة من المنظور القرآني.

٦. الإصلاح الاجتماعي عند الإمام الحسين عليه السلام من المنظور القرآني.

وقد ورد لقسم دار القرآن الكريم بإزاء هذه المحاور مجموعة من البحوث تربو على الخمسين بحثًا من دول مختلفة، ناقشت مجموعة من القضايا المجتمعيَّة المعاصرة مع وضع بعض الحلول التي تلائم تلك القضايا من القرآن الكريم، وبعد عرضها على اللجان العلميَّة ترشَّح عدد منها وعمد قسم دار القرآن الكريم أن يطبعها في هذه الوقائع؛ تلبيةً للحاجة المعرفيَّة، وإسهامًا منه في رفد المكتبة الإسلاميَّة بالدِّراسات والبحوث الرصينة المعتمدة على المنهج العلمي في متابعة الأفكار ورصدها.

وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربِّ العالمين وصلَّى الله على محمَّدٍ وآله الطاهرين

المضامين الأخلاقية والتربوية
في المجتمع المكي في عهد الرسول ﷺ على وفق المنظور القرآني

أ. م. د- حيدر زوين، جامعة الكوفة - كلية الآداب

د. عبد الكريم جعفر الكشفي مدير عام تربية ديالى السابق

الملخَّص:

شغلت المضامين الأخلاقية والتربوية في المنظور القرآني اهتمام المربين قديمًا وحديثا؛ بوصفها تمثل حجر الزاوية في بناء المجتمعات والشعوب، وهي بحاجة إلى دراسات مستفيضة، بخاصة أنَّ واضع أسسها في المجتمع المكي رسول الإنسانية محمد صلى الله عليه وآله، ويعدُّ تعليم هذه المضامين على وفق المنظور القرآني من أحكام الإسلام المحمدي، وقواعده، وأعرافه، وأنَّ الرُّجوع لها أمرٌ حضَّتْ عليه المرجعيَّةُ الدينيَّة قرآنًا وسُنَّة، قال تعالى: ﴿**إن هذا القُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا**﴾ الإسراء:٩. وقد ورد في السُّنة النبويَّة المُطهَّرة، عن النبي صلى الله عليه وآله أنَّه قال: «إنما بُعِثتُ لأُتمِّم مكارمَ الأخلاق» .

المضامين التربوية والأخلاقية على وفق المنظور القرآني تعد فريضة ينبغي الاهتمام بها كثيرا، ومسؤوليتها مسؤوليةُ الجميع من دون استثناء، فهي تُعد أكبرَ تَحدٍّ كان يواجه المجتمع المكيَّ المتحرِّر توّا من آثام الجاهلية، فمنقذ البشرية كان يسعى إلى بناء أفراد صالحين في ذواتهم ومشاعرهم، وأفكارهم، وإنَّ الدور الذي ممكن أنْ تؤديه هذه المضامين التي وضعها الرسول على وفق المنظور القرآني، والتي تهدف إلى إنشاء جدول إسلامي متشبِّعٍ بمبادئ الدين الإسلامي وبالقدم: (الروحية، والأخلاقية، والثقافية، والحضارية) للمجتمع.

الكلمات المفتاحيَّة: المضامين الأخلاقية والتربوية، المجتمع المكي، المنظور القرآني.

3- Summary:

The moral & educational contents of the Quranic perspective have taken the old and modern educators' interest, as it represents the essential pillar in the building of communities & nations and needs to be deeply studied, especially the one who had put & found these rules in Mekkah society is Prophet Mohammad (PBUH). Teaching these contents according to the Quranic perspective is considered one of the provisions of Mohammadi - Islam, its rules, and traditions. Keeping it as a reference is something was highly stated by religious authorities (the Holy Quran & Prophet's Sunnah) as Allah says:

﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾

"Verily this Qur'an doth guide to that which is most right (or stable), and giveth the Glad Tidings to the Believers who work deeds of righteousness, that they shall have a magnificent reward"

(Al-Israa 9). And the (prophet Sunnah) has stated in the Hadith: " "I was sent to uphold and complement ethical values"

The moral & educational contents under the Quranic perspective are considered an obligation (Farida) that must be given great attention, and its responsibility is everyone's responsibility, without any exceptions, as it was considered the Greatest challenge the Mecca society had faced, whose just liberated from pre - Islamic period vices (Al-Jahilleya). Human beings' savior sought to build good society members in themselves, their feelings, and thoughts; in addition, the role could be performed by these contents, set by Prophet Mohammad under the Quranic perspective, which aims to create an Islamic agenda filled with Islamic religious principles, and the terms of (spirituality, morality, culture, civilization) of society.

مقدِّمة:

لقد كانت الرسالة النبوية في مرحلتيها: المكّية والمدنية ذات قيم روحية وخلقية ونفسية عميقة عظيمة، سار على هديها الصحابة المنتجبون والتابعون الهداة وقادة المسلمين واقتدوا بها، ونشروا رسالة الدين الحنيف بروح المحبة، والتسامح بهدف النهوض بحضارة المجتمع المكِّيِّ وتصديره للإنسانية جمعاء، وكيف رسخ النبي الكريم المنظومة الأخلاقية، والتربوية في المرحلة المكية من الدعوة والتي تعد من أبرز معالم تلك المنظومة المبكرة الإنسانية، وهي مجال بحثنا الذي دار حول المحاور الآتية:

المبحث الأول/ المضامين الأخلاقية على وفق المنظور القرآني (مفهوم عام).

المبحث الثاني/ المضامين التربوية الإسلامية على وفق المنظور القرآني (مفهوم عام)

المبحث الثالث/ المضامين الأخلاقية والتربوية في المجتمع المكي في عهد الرسول صلى الله عليه وآله على وفق المنظور القرآني

المبحث الأول: نظرة عامة على المضامين الأخلاقية والتربوية في المجتمع الإسلامي على وفق المنظور القرآني (مفهوم عام)

المضامين الأخلاقية والتربوية في المجتمع الإسلامي (لغةً واصطلاحًا):

المضمون الخلقي والتربوي قد يأتي بمعنى القيم، والقيمة لغة -بحسب ما جاء في لسان العرب، ابن منظور- واحدة القِيَم، وأَصله الواو؛ لأَنه يقوم مقام الشيء، والقيمة أيضا ثمن الشيء بالتقويم، تقول: تَقاوَمُوه فيما بينهم، وإذا انقادَ الشيء واستمرَّت طريقته، فقد استقام لوجه[١]، ولا يكاد هذا المعنى يَبتعِد عن فَهْم الإنجليز والفرنسيين للقيمة، في الإنجليزية التي تُدلُّ على الاعتدالِ والاستواء وبلوغ الغاية[٢].

ونجد عند الفلاسفة وعلماء الاجتماعِ وغيرهم غير تعريف للقيم، فقد عرَّفها بعضهم على أنها إدراك للمرغوب فيه وهو سلوك تأثيري مختار، وعرفها الدكتور ضياء زاهر بوصفها مجموعة من الأحكام المعياريَّة المتَّصِلة بمضامين واقعيَّة يتشرَّبها الفرد من خلال انفعاله وتفاعُله مع المواقف والخبرات المختلفة[٣].

القيم عبر التاريخ:

أخذت القيمة بأنواعها المختلفة مكانةً مرموقةً في تاريخ الحضارات الإنسانية جميعها، واهتمَّت بها الشعوب والأجيال حتَّى تقارب الوعي البشري في الاتفاق على مفهومها، المتمثِّل بالمساواة والعدل والصبر والعِفَّة والشجاعة والتواضع والصدق والحقِّ والمحبَّة لدى جميع البشر على اختلاف عقائدهم ومشاربهم ولغاتهم وأعراقهم، وفي

(١) ينظر: لسان العرب: ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: تحقيق: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٥، ج٥، مادة «قيم».

(٢) القيم في الإسلام بين الذاتيَّة والموضوعيَّة: صلاح الدين بسيوني رسلان، دار الثقافة للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٠م، ص٨.

(٣) القيم في العمليَّة التربوية، ضياء زاهر، مؤسسة الخليج، القاهرة،١٩٨٤م، ص:١٠.

الحضارة القديمة ثمَّةَ رأيٌ يعترف بوجود مبدأين للوجود: أحدهما النور، ويمثِّلُ الخيرَ، والآخر الظُّلمة، ويمثِّل الشر، وقد قدَّم «روسو» في العقد الاجتماعي نظام الجمهورية البرجوازي، الذي أكَّد فيه أنَّ الحياة السياسية يجب أن تقوم على سيادة الشعب المطلقة، ورفَض تقسيم السلطة إلى تشريعية وتنفيذية، واقترح بدلًا منها الاستفتاء الشعبي العام في جميع الأمور السياسية المهمة، وقد أسهم «روسو» في الإعداد الفكري للثورة البرجوازية الفرنسيَّة بشكل فعَّال، وكان مُتقدِّمًا في أفكاره، فهو يرى أنَّ أصل الشرور والتفاوت بين البشر يعود إلى الملكيَّة الخاصة باعتبارها سببَ العداء والأنانية بين البشر[1].

أنواع القيم:

القيم على أنواع، وهي تتعلق بالإنسان على وجه الخصوص، ولها أهمية كبيرة وعظيمة في حياته، ويعد تحقيقها نجاحًا مهما بحدِّ ذاته له، وأهم أنواعها:

١. قيم دينية إسلامية: وهي مجموعة من الصفات الجيدة التي يتصف بها الإنسان المسلم، والتي يكتسبها من الأسرة المسلمة ومن البيت والمدرسة والمسجد، ولها ضوابط إسلامية محدودة يخدم من خلالها دينه ومجتمعه وأسرته.

٢. قيم تربوية اجتماعية: وهي تلك العادات التي اكتسبها الفرد من بيئة ومجتمعه، وأثَّرت به وتأثَّر بها، وأصبحت جزءًا مهما من شخصيته، وأصبح يتصرَّف بها مع الآخرين، مثل الإخلاص والتواضع وحبِّ الوطن... وغيرها.

٣. قيم أخلاقية: هي مجموعة من الصفات الحسنة والأمانة والوفاء الصدق والعدل والإحسان والرحمة والشجاعة وغيرها، وتعدُّ هذه القيم من الصفات المكتسبة.

٤. قيم جماليَّة: وهي قيم مكتسبة يكتسبها الفرد عن طريق تربيته، ويستطيع الإنسان من خلالها إشباع رغباته وحاجاته كالفن والجمال والذوق، ويستطيع من خلالها إثبات نفسه وبناء شخصية متوازنة إنسانيا وسلوكيًا واجتماعيًا.

(١) ينظر: حكمة الصين: فؤاد محمد شبل، دار المعارف، مصر، د. ت، ص٤٤.

٥. قيم شخصية: وهي القيم التي يتأثَّر بها الشخص وبكلِّ ما حوله من سلوكيَّات جيِّدة تساعده في بناء شخصيته..... وغيرها من القيم الأخر.

القيم الأخلاقية والتربوية وأهميتها ودورها في المجتمع:

القيم الأخلاقية:

عُرِّفَت القيم الأخلاقية بأنَّها مجموعةٌ من الأحكام الانفعالية الصادرة من العقل البشري، التي تقود الإنسان نحو رغباته واتجاهاته، وأنَّ هذه القيم تكتسب من المجتمع المحيط بالأفراد فيتشرّبها، وتُصبح المُحرِّكَ لأسلوبه الخاص والعام، وأنَّ هذه القِيمُ تختصُّ بجوانب شخصيّة الأفراد التي يصدر من خلالها الأحكام الخُلُقيّة، التي تتوافق مع طبيعة العادات والأعراف والتقاليد والقوانين السائدة في المجتمع الذي يعيش الإنسان فيه، ودائما ما تكون هذه الأحكام متوافقةً مع ضمير الإنسان وقناعاته، التي تنظِّمُ سلوك الإنسان، وتحدِّدُ علاقات الأفراد وصولا إلى الغاية المنشودة.

تستمدُّ القيمُ الأخلاقية التي أقرَّها إسلامنا المحمدي قيمتَها الإنسانية من مصادرَ عدَّة، هي القرآن الكريم والسُنّة النبوية الشريفة وأقوال أهل البيت ومنهجهم عليهم السلام، وقال البعض إنَّ القيم الأخلاقية الإسلامية: هي مجموعة من المعايير والأحكام النابعة من تصورات أساسية عن الكون والحياة والإنسان والإله، وأمَّا صورها الإسلامية فتتكون لدى الفرد والمجتمع، عبر التفاعل مع المواقف والخبرات الحياتية المختلفة، إذْ تمكنه من اختيار أهدافٍ وتوجهاتٍ لحياته تتفق مع إمكانياته، وتتجسَّد من خلال الاهتمامات أو السلوك العملي[1]. وكلَّما تعدَّدت وسائل الاتصال وتطورت الحياة بين الأمم والشعوب ازدادت الحاجة الملحة إلى المعايير والقيم الأخلاقية في المجتمعات، ليس في الشرقية منها فحسب، بل في مجتمعات العالم أجمع، وقد قال رسول الإنسانية

(١) ينظر: القيم الإسلامية والتربية: علي خليل مصطفى، دار طيبة، ط١، بيروت، ١٩٨٠م، ص٣٤.

محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله: «إنما بعثت لأتمِّم مكارم الأخلاق»[١].

أكَّد إسلامنا المحمدي على أهمية القيم الأخلاقية، التي يمكن بوساطتها ضمانُ وجود الحياة السعيدة، وبناءُ علاقات اجتماعية سليمة تمنحنا العيش الرغيد بسلام وأمان، ويدعو هذا الأمر الحكومات والدول الإسلامية والمؤسسات التربوية بكل أنواعها، وكذلك المربين والمهتمين بالتنشئة الأخلاقية الاجتماعية إلى إيجاد برامج ووسائل تساعد في غرس القيم الإنسانية والأخلاقية الإنسانية في المجتمعات والأفراد والنفوس، وذلك لكي تتمكَّن من المحافظة على الإرث الديني والحضاري والأخلاقي، وبناء عادات وتقاليد وسلوكيات سليمة تحارب الجهل والتخلُّف جيلا بعد جيل، كما أنَّ هذه القيم الأخلاقية تساعد شعوبنا المسلمة لتجنُّب الانحراف عن مسار الفهم الصحيح للتقدم والتطور في المجتمعات، وقد أوصت الشرائع والأديان السماوية بالالتزام بهذه القيم، وأنَّ مصدر تلك القيم هو مصدر إلهي عقلاني؛ مرتبط بطبيعة الأشياء وصفات الأفعال، وهذه القيم ثابتة وموضوعية لا تتغير بتغير الأفراد، ولا تخضع لأهوائهم ورغباتهم، فهي قيم مطلقة في جميع الأزمنة والأمكنة، وإذا حدث تنافر بين القيم وما هو مطلوب في الحياة، فإن هذا لا يعني أنَّ القيمَ غيرُ صادقة، بل أساليب حياتنا خاطئة، وتحتاج إلى تصحيح[٢].

إنَّ بناء المجتمعات المرجوَّة بناءً سليمًا لا يمكن أنْ يتم إلا عبر بناءِ أجيال مثقفة وواعية ومن خلال معلمين واعين مؤمنين بقضيتهم ومهنيتهم، وإنَّ أيَّة أمّةٍ من الأمم إذا لم تُنشئ مثل هكذا رجال تربية ومؤسسات تربوية هادفة ورسل فضيلة وعلم، فإنَّها لن تستطيع بناء منظومة تربوية هادفةٍ تفهم وتقدِّرُ النظم والمعايير والقيم التربوية، ولا يمكن لها أنْ تتأصَّل بمجرَّد الخطابات والوعظ والإعلانات واللقاءات من حين إلى آخر في قاعات براقة مغلقة، لقد كان

(١) الطبقات الكبرى: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي المعروف بابن سعد (ت ٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ط١، ١٤١٠ هـ، ج١، ص١٩٣.

(٢) ينظر: التربية وقضايا المجتمع المعاصر: حافظ فرج أحمد، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٣ م، ص٢٤٩.

للمفاهيم الأخلاقية دومًا هدفها في إيجاد بيئة آمنة وصالحة تؤمن بحماية العالم من مواريث الحروب ومصادرها، وتؤسس للتقدم العلمي وسلامته وأمنه، ويعدُّ التمسكُ بمعايير الأخلاق اليوم ضرورة اجتماعية للفرد والمجتمع، وكذلك يعدُّ ضرورةً للعلاقات المختلفة التي تسهمُ في ضبط السلوكيات المنحرفة، من جانب الالتزام بالتعهدات والعهود والعقود وتطبيقها على وفق روابط الدين والتاريخ واللغة والدم.

إنَّ من واجبات المؤسسة التربوية والإعلامية و»الدينية بشكل خاص»، في ظل مجتمعات مثل العراق وسوريا وغيرها من الدول التي أنهكتها الحروب، التي تعيش حالة من غياب المنظومة القيمية والتراجع المؤسف في كل المجالات، أنْ تؤدِّي هذه المؤسسات دورًا فعَّالًا وأساسيًّا في تربية الأجيال، وتحصينهم وتقوية عزائمهم ونفوسهم بمنظومةٍ من مكارم الأخلاق، التي ترسم لنا وتحدد صورة سلوك إنسان المستقبل، وترشده إلى إصلاح الذات والنفس، ولا يتمُّ هذا الإصلاح من دون نشر الوعي المجتمعي، وإيمان الأفراد بالأشكال الأخلاقية، كالأمانة والصدق والوفاء والاحترام والشرف وحرية الرأي والآخر، والالتزام بكل ما يرتضيه الدين الإسلامي الحقُّ، من أعراف ومحبة الآخرين والتضحية والإيثار وغيرها من القيم الأخلاقية السامية التي أوصى بها ديننا الإسلامي المحمدي، والتي هي أسلوبٌ ونظامُ حياةٍ في المجتمعات الراقية، وأنَّ هذه القيم السامية لا يمكن أنْ تنحصرَ في زاوية التنظير فقط، بلْ يجب أنْ تكون سلوكيَّات ظاهرة في تعاملات أفراد المجتمع ومع بعضه البعض، ومع الأسرة والمدرسة والمسجد وجماعة الأقران ووسائل الإعلام ووسائط أخرى ضمن المجتمع، وكل هذه الوسائط تستقي قيمها من ثقافة المجتمع الذي يمثل البيئة التربوية للأفراد[1].

(١) ينظر: تنمية القيم التربوية والنفسية للأبناء: السيد أحمد المخزنجي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المكتبة الثقافية، القاهرة،١٩٩٣م، ص٩٢.

تدرك أمَّتنا الإسلامية ومجتمعاتنا والمربون التربويون اليوم تمام الإدراك حاجتنا إلى جهاد النفس والاجتهاد لإيجاد الحلول السليمة والمناسبة لمواجهة أزمة تدهور المنظومة القيمية، تلك التي يعاني منها مجتمعنا في العراق وسوريا وكثير من مجتمعات الشعوب الإسلامية والعربية، وأنَّ الحاجة الملحَّة اليوم تكمن في البحث عن وسائلَ تعيد بناء المنظومة القيمية للأمة الإسلامية، وتعيد عزَّها وكرامتها المفقودة بصورة عامة؛ وأيضا ضرورة البحث عن وسائلَ جديدةٍ تعيد إيماننا بديننا وقيمنا الأخلاقية والتربوية والإنسانية، وبذلك نصحو من الغفوة، وربَّما ندرك بعض ما تبقى لنا من عزٍّ وكرامةٍ عربية إسلامية، وأن يكون طريق الحوار والمناقشة من أكثر الأساليب التربوية ملاءمة لتعليم القيم الأخلاقية وبيانها وتعزيزها، وذلك لأن الحوار يفتح الفرصة أمام الطالب للتعبير عن أفكاره وتصوراته المختلفة حول القضايا القيمية المعروضة للنقاش، وبذلك يكتشف صحتها أو خطأها[1]، ولعله، وبحسب رأينا القاصر أنَّ الحوار هو من أصوب الحلول لتصحيح الأخطاء والوصول إلى الهدف، ومن أهم القيم الأخلاقية التي يجب التأكيد عليها من خلال الحوار: الورع والتقوى والعدل والإحسان والصدق والأمانة والمحبة والتواضع والصبر والحلم وغيرها.

المبحث الثاني: المضامين التربوية الإسلامية على وفق المنظور القرآني:

وتعني تنمية الإنسان جسديًا وخُلُقيّا، وتنشئته فكريا وثقافيا، ويشمل هذا الأمر أيضا التغذية، والرعاية الصحية، ويعتمد ذلك كله على منهجٍ رباني مستمَدٍّ من هدي القرآن والسنة ومنهج أهل البيت عليهم السلام، وغيرها من مصادر التشريع، وقيل هي تنمية الإنسان في أبعاده المختلفة الرئيسة: البعد الروحي، والأحيائي (البيولوجي) والعقلي، والمعرفي، والانفعالي العاطفي، والسلوكي، والأخلاقي، والاجتماعي، للوصول بالإنسان نحو الكمال ضمن مجتمع متضامن قائم على قيم الإسلام الثابتة.

(١) ينظر: تعلُّم القيم وتعليمها: ماجد زكي الجلاد، دار المسيرة، عمان، الأردن، ٢٠٠٧م، ص ١٣٨.

للقيم التربوية الإسلامية تعريفات عدَّة، وقد عرّفها بعض الباحثين بأنَّها مفاهيم تدل على معتقدات المسلم حول نماذج السلوك التي وهبها الخالق للإنسان، يكتسبها المسلم من طريق فهمه لدينه، وتتعلَّم هذه المفاهيم بتفاعله مع مواقف الحياة المختلفة والخبرات الاجتماعية والفردية، وبها يضبط الفرد سلوكه، وعلى هذه القيم يحكم على سلوك الفرد والآخرين، وعلى ضوئها يختار المسلم أهدافه ووسائل توجيهات حياته، ولابدَّ لهذه القيم أنْ تظهر في السلوك العملي واللفظي للمجتمع الإسلامي بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وعرَّفها آخرون بأنها مجموعة من المثل العليا، والمعتقدات والغايات والوسائل والتشريعات الضابطة لسلوك الفرد والجماعة، وأنها مبادئ تحثُّ على الفضيلة ومواجهات للسلوك الإنساني، وهي ضوابط تضبط حياة الناس بكل مفاهيمها الدينية والاجتماعية والعلمية والفكرية والسياسية والأدبية[١].

تمثِّل القيم التربوية في المجتمع الإسلامي الجانب المعنوي أو الروحي في الحضارة، (في كلِّ الحضارات وبخاصة الإسلامية)، وهي: الجوهر والأساس الذي تقوم عليه أيّةُ حضارة، وفي الوقت نفسه تضمن سرَّ بقائها وصمودها عبر الأجيال التاريخ، وإذا اختفت هذه القيم في يوم من الأيام فإن ذلك يُؤذِن بالزوال المعنوي للحضارات الإنسانية، التي هي روح الحياة والوجود، مما يؤدِّي إلى مغادرة الرحمة قلوب الفرد، وإلى ضعف وجدانه وضميره عن أداء دوره الذي يجب أنْ يقوم به ومعرفة حقيقة نفسه. وأنَّ الانحطاط هو خطأ الإنسان في فهم حقيقة مكانته في الكون، وفي إنكاره عالم القيم، الذي يشمل قيم الخير والحقِّ والجمال والحقيقة أيضًا، وأنَّ هذا الجانبَ أيْ جانبَ الأخلاق والقيم لم يَوفَّ حقَّه في حضارة المسلمين، التي قامت على أساس القيم والأخلاق، وبعث الله رسوله خاصة ليَتمِّم مكارم الأخلاق ويكمِّلها، وأنَّ تلك القيم التي لم تكن يومًا نتاج تطوُّر فكريٍّ على مرِّ العصور، وإنَّما أوحاها الله عزَّ وجلَّ، وشرَّعها رسول الله محمدﷺ [٢].

(١) ينظر: التربية الإسلامية: دار إشبيليا، الرياض،٢٠٠٢م، ص٢٦٧.

(٢) ينظر: الإنسان ذلك المجهول: ألكسي سكارليل، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٧٥م، ص٣٥١.

تعدُّ القيم التربوية الإسلامية في المجتمع الإسلامي قيمًا متطورة وحيَّة يمكنها الحركة، وتصلح لمختلف العصور والبيئات؛ وذلك لأنها أخذَت مقوِّماتها الأصيلة الأساسيَّة، واستمدَّتها من مصدرين أساسين، هما القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فضلًا عن منهجِ أهل البيت عليهم السلام، وأنَّ هذه القيم ليست خيالية أو مثالية، وإنَّما هي قيم تطبيقية عمليَّة يمكن تحقيقها بالمجهود البشري في ظل المفاهيم الإسلامية الصحيحة، ونرى إمكانية غرسها في كل بيئة بغضِّ النظر عن نوع الحياة السائدة فيها، فهي تشجع بالمنطق العقائدي ذاته، وبالتطور والتقدم في المجالات جميعها، وتفتح الطريق لاستقبال نتائج الفكر الإنساني والحضارة البشرية، ونتيجة لامتلاك الإنسانِ العقلَ فقد تميَّز عن سائر المخلوقات بالقدرة على اختيار البدائل اختيارًا حرًّا واعيًا، وهذه الحريَّة الواعية في اختيار العقل هي التي تحدِّد القيمة الأخلاقية المميزة لأفعاله تأكيدًا لدور العقل في البناء القيمي للإنسان(١).

يعدُّ تعليم القِيَم التربوية فريضةً واجبة ينبغي الاهتمام بها، ومسؤوليةُ تعليمها يجب أنْ يتحمَّلها الجميعُ من دون استثناء، وتعدُّ هذه القيم أكبرَ تَحدٍّ لمدى قُدْرتنا على تربية الأفراد والأجيال، ليكونوا صالحين في ذواتهم ومشاعرهم وأفكارهم للحِفاظ على المجتمعات من الذَّوبان في ما يُسمَّى بالعولمة التي تكرس الانسلاخ عن الانتماء إلى كِيان الفرد ومجتمعه. ومن دون القيم التربوية والأخلاقية لا يمكن أن يُثمِر التعليمُ ولا التربيةُ، وهنا تكمن الحاجة إلى التفاعل التام بين الأفراد والمجتمع والقيم التربوية.

وتأسيسًا على ما تقدم، لا بدَّ من إعادة النظر في البرامج التربوية، وإعطاء نِصيب وافر في وقت زمنيٍّ أكبر، ووسائل أكثر حداثة، واهتمام أكبر ومؤثِّر وغَرْس قيم التَّربية الإسلاميَّة السمحاء والشريعة الإسلامية المحمدية، والتاريخ المشرق، والتربية المدنيَّة القائمة على المرجعيَّة الدينية المتنورة، والأعراف المجتمعية الصحيحة، وللموروث الثقافي للأمم الأثر

(١) ينظر: النظرية الاجتماعية في الفكر الإسلامي «أصولها وبناؤها في القرآن والسنة»: زينب رضوان، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢م، ص١٨٤.

في كلِّ مراحل التعليم المتنوعة، حتى نصل إلى الهدف المنشود؛ إنَّ مشروع تأصيل القيم التربوية هو تجسيد للقيم والمبادئ التي جبل عليها مجتمعنا كالتسامح والتكافل والاعتدال...، والتي تنبع من تعاليم الدين الإسلامي وعادات المجتمع وتقاليده، وإعداد المواطن الصالح على وفق هذه القيم، ويحضرُ كلام الله سبحانه وتعالى هاديًا ومرشداً للناس جميعًا في قوله: ﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا**﴾[١]، وقال رسول الإنسانية محمدﷺ: «إنّما بُعُثتُ مُعَلِّما مُبَشِرا برحمة مُهداة»[٢].

ومن أهم القيم التربوية التي نسعى لتأصيلها في المجتمع الإسلامي: «برُّ الوالدين والتسامح ونبذ العنف، والإيمان بالآخر، واحترام الآخرين، والنظافة، والعمل التطوعي، والمحافظة على الممتلكات العامة، والتعاون، وإدارة الوقت، وحبّ الوطن والولاء له، والثقة بالنفس، وحسن المجاورة، والقدوة، والوسطية، والحياء... وغيرها»، وقال ابن سينا: إنَّ أصول الفضائل: العفة، والشجاعة، والحكمة والعدالة[٣].

ولا بدَّ أنْ نبيِّن أنَّ الدين الإسلامي الحنيف يهدف إلى تربية الذات الإنسانية تربية أخلاقية وتربوية، وأنَّ هذه الذات هي محور نشاط التربية الإسلامية السمحاء التي بها تتكوَّن ذات الإنسان المسلم وشخصيته المسلمة كما أرادها الإسلام المحمدي، وللقيم الإسلامية السمحة في المجتمع الإسلامي خصائص عديدة تميِّزها عن كل القيم الأخرى الموجودة في الفلسفات والمجتمعات الأخرى، وذلك لأنها نابعةٌ من صميم المجتمع الإسلامي، إذ إنَّ المنظومة القيمية في المجتمع الإسلامي تمتاز بخصائص منفردة عدَّة تميزها عن الديانات والشرائع الأخرى السماوية وغير السماوية، فهي كلٌّ متكاملٌ يجمع في إطار منسّق جميع مشتملاته، من

(١) القرآن الكريم: سورة الإسراء/ الآية ٩.

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: ابن عبد البر، تحقيق د. بشار عواد وسليم محمد عامر ومحمد بشار عواد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، بيروت، ١٤٣٩هـ-٢٠١٨م، ج٥، ص١١٨.

(٣) ينظر: تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات: ابن سينا الحسين بن عبد الله، دار الجوائب، بيروت، ١٢٩٨هـ، ص١٠٧.

عقيدة وعبادات ومعاملات وتشريعات وتوجيهات وأوامر ونواهي وتوجيهات، للأخلاق وللآداب العامة وهذه تجتمع في كلٍّ متكامل متناسق مترابط فكريًّا ومنطقيًّا[١].

أوجز بعض خبراء التربية أهمَّ العوامل المؤثرة في غرس المفاهيم التربوية عند الناشئة، وقناعة الناشئة بمكاسب تطبيق القيمة وخسارة فقدانها، على وفق الآتي:

١. القيم والإقناع العقلي الحر: إذ إنَّ بناء القيم يجب أنْ يتمَّ على قاعدة الاختيار، وليس الحفظ والتلقين.

٢. القيم والتفكير: إنَّ طريقة تفكير الأفراد تصنع مظاهر حياتية، وتحدِّد أنماط القيم والسلوك، وهناك ارتباط كبير بين ما يملكه الفرد من القدرة على التفكير والتقويم، وبين ما يقوم به في اختيار الاتجاهات والقيم.

٣. القيم والاعتقاد: تعدُّ المعتقدات من أهمِّ القوى المحرِّكة التي تعمل على بناء القيم لدى الأفراد؛ لأنها تمثل اعتماد الفرد لحقائق: (الوجود، الإله، الكون، الحياة).

٤. القيم وموقف الصراع القيمي: إنَّ تعليم القيم التربوية الإسلامية يجب أنْ يتمَّ عبر المواقف الحياتية، التي يعيشها المتعلمون، والتي توفر فرصا تعليمية للتعبير عن الآراء والتوجهات، وأنَّ استعمال الحوار والمناقشة وحلَّ المشكلات والتفكير الناقد هي أفضل الطرق لتعلُّم هذه القيم.

٥. القيم والقدوة: يعدُّ توفير القدوة الصالحة أمرًا مهمًا في تعليم القيم، فهي تقدِّم أنموذجًا يتشرَّب الفرد القيم منها، ومن خلاله يستطيع أنْ يقدم أنموذجا للسلوك الإنساني الحضاري الراقي.

٦. المنحى التكاملي في تدريس القيم: إنَّ تعليم هذه القيم يجب أنْ يتمَّ من خلال إطار شمولي تكاملي، ويتحقق ذلك من خلال تطبيق المعلومة وتعليمها وتنوع الأساليب والاستراتيجيات التي تعزز سلوك المتعلم، ومن ثم العمل على قياس مدى اكتسابها

(١) ينظر: مفاهيم تربوية وإسلامية: سلطان محمود السيد، دار المريخ للنشر، الرياض، ١٩٨٢م، ص٢٤.

عبر التقويم الشامل لتحصيل الطالب.

المبحث الثالث: المضامين الأخلاقية والتربوية في المجتمع المكي في عهد الرسول(ﷺ) على وفق المنظور القرآني:

نهضت الرسالة المحمدية في مرحلتيها المكّية والمدنيَّة على أسس ومضامين أخلاقية وتربوية عظيمة، سار على هديها المجتمع المكي، والصحابة والمنتجبين، والتابعين الطيبين وقادة المسلمين في طريقهم واقتدوا بها في علاقتهم الواسعة في المجتمع المسلم ونقلوها لاحقا إلى أصقاع المعمورة، ونشروا رسالة الإسلام المحمدي الحنيف بروح من التسامح والأخوة والإيمان بالآخر، وفي إطار حفظ المصالح الإسلامية ودرء المفاسد العامة والخاصة، وكانت هذه القيم نواميس وسننا علَّمت الإنسانية بناء الأمم والحضارات، وبنت حضارة إسلامية متكاملة، وقد رسخ النبي محمدﷺ هذه المنظومة في المرحلة المكِّية من الدعوة، ومن يدقق النظر في مؤسس المنهج التربوي والأخلاقي الإسلامي ألا وهو الرسول القدوة، وهو الذي يقول: «إنما بعثت معلمًا»[1].

إنَّ بناء والمنظومة الأخلاقية والتربوية، والنُّهوض بها يخضع للقوانين الإلهية، وسنن ونواميس إنسانية تتحكَّم في بناء مسيرة الأفراد والشُّعوب، والدول والأمم، وعند التأمُّل في سيرة رسول الإنسانية محمدﷺ نراه قد تعامل مع هذه المنظومة بحكمةٍ وروية، وقدرةٍ فائقةٍ؛ إذ رسَّخ الجيِّد من المضامين الأخلاقية والتربوية على وفق المنظور القرآني، وأقرها، تلك التي كانت سائدة في مجتمع ما قبل الإسلام، وأقرَّ مضامين جديدة عالية القيمة لتكوين نواة المجتمع المكِّي المسلم المستقيم على أمر الله خلال ثلاثة عشر عامًا في مكَّة، إذْ كانت مهمَّته الأساسيَّة فيها تنحصر في تربية أجيال مؤمنةٍ متسلِّحةٍ بهذه

(١) المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني ت٤٣٠هـ، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٩٦م، رقم الحديث٣٤٩١، ج٤، ص١٤٦.

المضامين الإسلامية على وفق المنظور القرآني، تحمل عبء الدَّعوة وتكاليف الجهاد من أجل ترسيخها وحمايتها، ونشرها في آفاق المجتمع المكي، وأصقاع المعمورة لاحقا، وإنَّ هذه القيم التي جسَّدَها الرسول من شأنها أنْ تلبِّيَ حاجة اجتماعية حيويَّة، وترضي اتجاهات نفسية عامة في عدد كبير من الأفراد والشعوب(١).

لقد كان هدف الرسول صلى الله عليه وآله هو صناعة الإنسانِ النموذجيِّ، الحضاري الرَّبانيِّ الخاضع لسنن وقوانين ربانية، تجبر الأمَّة الإسلامية على مراعاتها والعمل بها، للنُّهوض والتَّمكين لدين العزة وسيادة منطق القرآن والسُّنَّة، في عصر سيطرت فيه الجاهليَّة وقيمها، فبدأت منظومة القيم الأخلاقية والتربوية متدرِّجةً، تسير بالنَّاس سيرًا حثيثا دقيقًا، فبدأت بمرحلة الاصطفاء والفهم والتَّأسيس، وبعدها مرحلة المقاومة والمواجهة، ثمَّ مرحلة النَّصر والترسيخ، والتغيير من حياة الجاهليَّة إلى الحياة الإسلاميَّة ونشرها في الآفاق، ولم تكن المرحلة المكِّيَّة مرحلة تشريع؛ بل مرحلة بناء منظومة أخلاقية تربوية ذات مضامين خلَّاقة وتكوين جيِّد، فقد كان الرسول محمد صلى الله عليه وآله يختار في تعليمه من الأساليب أحسنها وأفضلها وأوقعها في نفس المخاطب، وأقربها إلى فهمه وعقله، وأشدَّها تثبيتًا للعلم(٢).

إنَّ المسافةَ الهائلة بين المضامين التي جاء بها الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله، على وفق المنظور القرآني، والمجتمع الجاهلي كانت بعيدةً. ففي المجتمع الجاهلي الذي مرَّ عبر أحقاب من التَّاريخ المشوه، سيطرت عليه أشتات من المصالح الخاصة الضيقة، وألوانٌ من القوى القبلية، فجاءت مضامينه كلُّها لتقف سدًّا منيعا في وجه مضامين الدِّين الجديد، الَّذي كان لا يكتفي بتغيير العقائد، والقيم والموازين والتَّصوُّرات، والتقاليد،

(١) ينظر: القوى الاجتماعية مدخل لدراسات الأنثروبولوجية والاجتماعية: محمد محمد الزلباني، ١٩٧١م، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٤٠٨هـ، ص٢١١.

(٢) ينظر: المنهج التربوي القرآني وأثره في إصلاح الفرد: د. مروان صباح ياسين، مجلة مداد الأدب، الجامعة العراقية، عدد خاص بالمؤتمرات، بغداد، ٢٠١٨م، ص٣٩٥.

والعادات، والمشاعر، والأخلاق فقط، إنَّما يريد كذلك أنْ يغيِّرَ القيم والمضامين والأنظمة والأوضاع والقوانين والشرائع البالية المخالفة لنظم الإسلام وقيمه، كما كان يريد انتزاع قيادة البشريَّة، والإنسانية من أيادي الطَّواغيت، والجاهليَّة ليردَّها إلى دين الله، وإلى الإسلام المحمدي الأصيل، وإنَّ المنظومة الأخلاقية، والتربوية الَّتي أرادها النَّبيُّ محمدﷺ تسير على وفق منهج القرآن الكريم، والرغبة في صنع الرِّجال العظماء، ثمَّ انطلق بها ليؤسّس أعظم تغيير في شكل المجتمع المكي، ونقلَ المجتمع العربي من الظُّلمات إلى النُّور، من جهل الجاهلية إلى نور الإيمان والعلم، فتغيرت مكَّة أولًا، ثمَّ الجزيرة العربية، ثمَّ بلاد فارس، ثم الرُّوم وفي حركةٍ عالميَّةٍ تؤمن وتسبِّح بذكر خالقها بالغدوِّ والآصال، كما أن وجودَ النماذج الحسنة من الشخصيات الإنسانية ذو أهمية كبرى في صياغة السلوك وأنماطه، فالقدوة تقدم أسلوب العمل الأفضل[1]، وقد تجسدت هذه القدوة بشخصية رسول الإنسانية محمدﷺ.

ولابدَّ أنْ نمرَّ على أهمِّ المضامين التربوية الأخلاقية في المجتمع المكِّي في عهد الرسول على وفق المنظور القرآني، التي يعود الدور الأول في إرسائها إلى رسول الإنسانية محمدﷺ، وهي:

أهم المضامين التربوية على وفق المنظور القرآني:

١. الإيمان بالله والتوحيد به، وتطبيق السنَّة النبويَّة: لقد دعا الرسول محمدﷺ، المسلمين جميعا إلى التوحيد والإيمان بالرسول والرسالات السماوية على وفق المنظور القرآني، لأنَّ هذه المضامين تمثل حجر الزاوية، في عملية التربية وهي السبيل الواضح السوي لبناء المجتمعات الإسلامية الصالحة، وأننا مدينون إلى ما جاء به منقذ البشرية محمد المعلمﷺ، وإنَّ أجيال المسلمين وأجيال البشرية بحاجة ماسَّة إلى دراسة مجتمع

(١) ينظر: الهدي النبوي في تربية الأولاد في ضوء الكتاب والسنة: د. سعيد بن علي القحطاني، المكتبة العلمية- بيروت، ١٣٣٩٩هـ، ص٢٥٥.

الرسول، وأقواله وأفعاله لتفهم الإنسانية الحقَّة مجسدة في تلك السيرة بعيدًا عن تصورات الآلهة والمحرفين والمتقولين على الإسلام[١].

٢. الدعوة إلى نصرة المظلوم، والدفاع عن حقوق الإنسان: وهذه من المضامين التربوية المهمة التي رسمها الرسول صلى الله عليه وآله على وفق المنظور القرآني والتي تدعو إلى نصرة الحق والدفاع عن المظلومين كانت سمة الرسول وسمة مجتمع مكة، وإنَّ السلم وحقوق الإنسان في الإسلام ليست منَّة من أحد، وإنَّما هي حقوق حقيقية ملزمة بحكم مصدرها الإلهي، لا تقبل المساومة ولا التعطيل، ففي مكة لا اعتداء ولا حرابة ولا إرهاب، فيها كلُّ الاحترام للإنسان، وهي ثمرة طيبة لجهد مخلص لمنقذ البشرية، وواضع أسس المحبَّة ونصير المظلومين وباني السلم والسلام، فقد ورد بالأثر أنَّ رسول الله اشترك في حلف الفضول لحبِّه السلام، وقد جاوز العشرين وقال بعد ما بعثه الله: «حضرت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ما يسرني به؟ النعم ولو دعيت إليه اليوم لأجبت»[٢].

٣. احترام حقوق المرأة في مجتمع مكة: كرَّم الإسلام ومنقذ البشرية المرأةَ، إذْ لا يوجد دين من الأديان السماوية، أو مذهب من المذاهب كرَّم المرأة أكثر مما كرَّمها الإسلام المحمدي، وقد بلغ من تكريم الإسلام للمرأة أنْ جعل احترامها بعد أنْ كانت مهانة، وأعطى لها حقوقها في الميراث وحرم وأدها، وشاركها بالجهاد وخصَّ لها جزءا من غنائم الحروب، وروى ابن الأثير أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله، اشتركت معه النساء في غزوة خيبر فأعطاهن حصة من فيئها[٣]. وكان بيت النبوة أسوة حسنة للناس جميعًا، فنجدُ «مقام خديجة عليها السلام وموقعها هو تهيئة أرضية لموقع فاطمة الزهراء عليها السلام الذي هو حلقة

(١) ينظر: من هدي النبوة: مؤسسة البلاغ، طهران، ٢٠٠٤، ص٤.

(٢) ينظر: تاريخ اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب، ت٢٨٤هـ، مطبعة الغري، ١٩٤٠م، ج٢، ص١٧.

(٣) ينظر: الكامل في التاريخ: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري المعروف بابن الأثير، ت٦٣٠هـ، تحقيق عمر عبد السلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٧م، ج٢، ص٢٢٣.

الوصل الوسط بين النبوة والإمامة، فالسيدة خديجة عليها السلام -في المستوى الرمزي - هي حاضنة النور المتمثِّل بفاطمة عليها السلام... بوصفها المرأة المؤمنة القدوة في العلم والعمل والتفاني لبناء البيت الإسلامي انسجاما مع قيم النبوة وتوجيهاتها على المستوى الأرضي والسماوي»[1].

٤. الدعوة إلى لعلم والعمل ومقابلة الإساءة بالإحسان: لقد حضَّ القرآنُ الكريم المسلمين على تحصيل العلم المفيد النافع لأنَّه من الواجبات، وأنَّ العلم النافع يهدي إلى صالح العمل، فالعلم والعمل وعدم الإساءة للآخرين والعفو والصفح دليل على الإيمان، كما أرشد إلى ذلك قوله تعالى: ﴿**وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾[2]، فمقابلة الإساءة بالإحسان كان شعارا لأهل مكة، وإن طلب العلم والمعرفة والعمل الصحيح يترتَّب عليه الإيمان، والإيمان يترتَّب عليه الفوز العظيم.

٥. الحرية ومبدأ الشورى والمساواة واحترام المسلمين ودفع الضرر: أكَّد الرسول محمد صلى الله عليه وآله على إخراج الصدقات والزكاة، ففيها تطهير للنفس وتزكية للروح، هذه كلُّها قيم تربوية علَّمنا عليها الرسول صلى الله عليه وآله، وجسَّدها في مجتمع مكة بوصفه مكانا لتطهير النفوس، وإنَّ استشارة الآخرين أمر حسن ومثله الشورى، كما أوجد الرسول قاعدة لا ضرر ولا ضرار، حفاظا على ديمومة المجتمع المكِّي، وليعطي لنا دروسا في القيم التربوية والأخلاقية، وكانت الحرية والمشورة والرحمة هي صفة الرسول، الذي كان للمجتمع المكي قدوة، وإنَّ وجود النماذج الحسنة من الشخصيات الإنسانية مثل الرسول محمد صلى الله عليه وآله ذات أهمية كبرى في صياغة السلوك وأنماطه، فالقدوة تقدُّم الأسلوب

(١) ينظر: دور المرأة في بناء الشخصية المؤمنة خديجة عليها السلام أنموذجًا «بين الوعد السماوي والترتيب الأرضي»: د. اكسم فياض، بحث علمي موجود لدى العتبة الحسينية المقدسة للمشاركة في مهرجان مولد السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، ٢٠٢١.

(٢) سورة الحج، الآية ٥٤.

العملي الواقعي للحياة، وليس بمجرد أقوال وعظات.

كان للقدوة الحسنة الأثر العميق في تعليم المسلمين وتثقيفهم وتغيير اتجاهاتهم وتعديل سلوكهم؛ والأخذ بيدهم نحو بناء الشخصية الإسلامية والمجتمع الإسلامي[١]. هذا فيض من غيض وثمة مضامين تربوية أخرى يطول الحديث عنها.

المضامين الأخلاقية على وفق المنظور القرآني:

المضامين الأخلاقية على وفق المنظور القرآني كثيرة جدا، وقد وقَعَ اختيار البحث على خمسة منها، لعلها تكون الأهم - بحسب رأينا القاصر - وهي:

١. الكرم وبسط اليد:

لقد كان رسول الإنسانية محمد صلى الله عليه وآله مثالًا للكرم؛ إذْ كان يحض الصحابة على الكرم والعطاء والبذل، فكان صلى الله عليه وآله يساعد الفقراء المحتاجين، ويحثُّ أصحابه على ذلك، ومجتمعُ مكَّة كلُّه قد تعلم الجودَ والكرم منه، فقد ورد في الأثر: «إنَّ رسولَ اللَّهِ (صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ) دخلَ على بلالٍ وعندَه صُبُرٌ من تمرٍ فقالَ: ما هذا؟ قالَ: أدَّخِرُهُ، فقالَ: أما تَخشَى أن يُرى لَه بُخارٌ في نارِ جَهنَّمَ، أنفِق يا بلالُ ولا تَخشَ مِن ذي العرشِ إقلالًا»[٢].

٢. الأخلاق والصدق والتواضع: تعدُّ الأخلاق والصدق والتواضع من أهم المضامين الأخلاقية على وفق المنظور الأخلاقي التي تبني أجيالا ورجال مستقبل، وهي سرُّ العلاقات السويَّة الطبيعية في المجتمع، وتُعدُّ من الأمور التي يجب تنشئة الكبار والصغار عليها، لأنها تبني سلوكيات عامة في الحديث والعمل والمواقف الحياتية الإنسانية البسيطة منها والصعبة، وقد وجَّه الرسول بأخلاقه الرفيعة مجتمع مكَّة إلى عدم

(١) ينظر: الرسول العربي المربيِّ: د. عبد الحميد الهاشمي، دار الثقافة للجميع، بيروت، ٢٠٠٦م، ص٤٤٢.

(٢) المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي ت٩٠٢هـ، تحقيق محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٥م، ص١٣١.

كسر القوانين والنواميس والقواعد والسيطرة على غريزة التمرد والخروج عن المألوف المنافي للأخلاق الحميدة.

٣. الشجاعة والإقدام:

الشجاعة والإقدام من القيم الأخلاقية الإنسانية التي لا بُدَّ لكلِّ مسلم أنْ يتحلَّى بها، وقد نادى بها منقذ البشرية محمدﷺ، ودعا الصحابة لها؛ لأنّها أساسُ حماية المجتمع المسلم من الأعداء، وتعني أيضًا إغاثة الملهوف ونصرة المظلوم، لقد أكد الرسول على أهمية الشجاعة والشهامة؛ لأنَّها مدعاةٌ للفخر والرجولة، وبالشجاعة والأقدام صار المسلمين أسياد الأقوام، وصارت لهم هيبة كبيرة لا يستطيع أحد تجاهلها، وهي تُعد من صفات السادة الأقوياء الذين لا يخشون في الله لومة لائم، ويسعون دائمًا لأنْ يكونوا في الطليعة المسلمة الحسنة؛ لأنهم مجبولون على حب التضحية والإيثار التي تعلموها من الرسولﷺ، بالشجاعة والإقدام، وسعة الصدر، وكبر القلب، وهدوء النفس، كلُّ ذلك عوامل عاطفية عقلية، وهي أساسية في نجاح تلك العلاقات الإنسانية(١).

٤. الصَّبر والاحتساب ومواجهة الصِّعاب:

لقد أمرنا الرسول محمدﷺ بالصبر، ومواجهة الابتلاءات بثبات وتحويلها إلى نجاحات ودرجات في الدنيا والآخرة، ويعدُّ الصبر الصفة الأساسية لمواجهة مغريات الدنيا وزينة الحياة الدنيا، والوقوف ضد هوى النفس ومكائد الشيطان ووسوساته، ومواجهة ظلمة العصر، لقد علَّمنا الرسول أنَّ الصبر يعطيك قوة إضافية، ويمنحك القدرة على الفوز، والصمود، وقد شجع الرسول الصحابة على الصبر الجلد والتحمل وتقبل نوائب الدهر، وصعاب الحياة، فهو مما يستعين به الإنسان لقوله تعالى: ﴿**وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلا عَلَى الْخَاشِعِينَ**﴾(٢)، عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام قال: «والصبرُ في الأُمُور بمنزلة الرّأس من الجسد، فإذا فارق الرّأس الجسد فَسَدَ

(١) ينظر: أساليب الرسول ﷺ في الدعوة والتربية: يوسف خاطر حسن الصوري، الدار الإسلامية، بيروت، ٢٠٠٨م، ص٦٧.

(٢) القرآن الكريم: سورة البقرة، الآية ٤٥.

الجسدُ، وإذا فارق الصبرُ الأُمُور فَسَدَتِ الأُمُورُ [١]، فالصبر أبو الفضائل، وأصل مكارم الأخلاق، ومنه تتفرع المحامد.

٥. التواضع:

من أهم الأخلاقيات التي جسدها الرسول محمد صلى الله عليه وآله، هو التعامل مع الأقران بتواضع وعدم الشعور بالتباهي والفخر، فالتواضع يكرِّسُ حبَّ الآخرين، إذ بنى الرسول صلى الله عليه وآله مجتمعًا مكيًّا صالحًا يشار له بالبنان، فالتواضع من المضامين الأخلاقية المهمَّة على وفق المنظور القرآني التي حثَّت عليها جميع الشرائع والأديان، فهذه الخصلة الطيبة من شأنها تربية أجيال ذوي خلق رفيع وطيب.

تحظى القيم التربوية والأخلاقية على وفق المنظور القرآني بأهمية كبيرة في حياة الأمم والشعوب والمجتمعات، وهي محكومة بمعايير محددة بالطبيعة، وإنَّ العلاقات القائمة بين أفراد هذه المجتمعات أنماط مختلفة، والتفاعل فيما بينهم في مختلف نواحي الحياة يحافظ على القيم المجتمعية، والتربوية، والأخلاقية، ويساعد في استمراريته وبقاء المجتمعات، وقد أكَّد القرآن الكريم وسنَّة الرسول محمد صلى الله عليه وآله هذه الحقيقة الناصعة في كثير من آيات القرآن الكريم، فقد ذكرت هذه الآيات نهاية الأقوام التي لم تتبن تلك القيم، ورفضت المعايير والقيم الفاضلة، قال تعالى في الذكر الحكيم: «وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانت آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا من مكان فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ [٢].

يمثِّل الحفاظ على المنظومة التربوية الأخلاقية هويتنا، ويميزنا عن غيرنا من المجتمعات الإنسانية، والتي تختلف عن بعضها بما تتبنّاه من هذه القيم ومعاييرها القيمية، لذلك فالتمسُّك بهذه القيم يضمن الحفاظ على هويات المجتمعات، والشعوب،

(١) ينظر: المجالسة وجواهر العلم: أبو بكر أحمد بن مروان بن محمد الدينوري القاضي المالكي، ت٣٣٣ هـ، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٢م، ج٢، ص١٨٧.
(٢) سورة النحل، الآية ١١٢.

وإنَّ الابتعاد عن هذه القيم يؤدي إلى اضمحلال هوية هذه المجتمعات، فديمومة أيِّ مجتمع ترتبط بالمنظومة القيمية الخاصة به.

ومما يزيد من أهميَّة القيم أثرها العميق في الحفاظ على بناء مجتمعٍ نظيفٍ صحيٍّ خالٍ من السلبية مع انفتاح المجتمع وتقاربه، وهذا ما يزيد الثقل على المربين وأهمية بناء قيم سليمة، وغرسها في الناشئة؛ لكي يتمكنوا من التمييز بين الخير والشر، وما هو نافع أو ضار[1].

النتائج والتوصيات:

١. القيم الدينية تكون على رأس كل القيم، وهي عقيدة يتبناها الأشخاص في حياتهم، وتظهر هذه العقيدة في كلِّ أفعالهم.

٢. يعدُّ رسول الإنسانية محمدﷺ المعلِّمَ الأوَّلَ الذي وضع منظومة القيم التربوية والأخلاقية في المجتمع المكِّي ومن بعده المجتمع الإسلامي.

٣. لمنظومة القيم التربوية والأخلاقية دور رئيس في بناء السلوك الإنساني، وهي مهمة لبناء المجتمع.

٤. توجد عدة اتجاهات مختلفة للقيم، فهناك من يرى أنها معايير مهمة تحكم السلوك، وهناك من يرى أنها تفضيلات للأفراد يختارونها بأنفسهم.

٥. يعدُّ اهتمام الإسلام بالمجتمع والمعاملات القائمة على منظومة القيم وعلى مكارم الأخلاق ضمانًا لإعمار الأرض وحمايتها من الفساد.

٦. منظومة الأخلاق مصدرها إلهيّ يوجِّه السلوك، ويهدف باستمرار إلى رضى الله عزَّ وجل.

٧. ضرورة القيام بدراسات وأبحاث لدراسة القيم التربوية والأخلاقية المستنبطة من شريعتنا السمحاء وآيات القرآن الكريم والسنة النبوية وتعزيزها لدى الناشئة.

٨. ضرورة الرجوع إلى المنهج التربوي والأخلاقي الإسلامي الذي رسمه لنا

(١) ينظر: تعلم القيم وتعليمها: ماجد الجلاد، دار المسيرة، عمان، الأردن، ٢٠٠٧م، ص٤٤.

الرسول صلى الله عليه وآله وآل بيته عليهم السلام وأصحابه النجباء والعلماء من بعدهم.

٩. يحمل الرجوع إلى هذه القيم الأصيلة كلَّ الحلول للمشكلات التي تواجهنا في العصر الحاضر.

١٠. تدعونا عملية إيجاد الحلول للمشكلات المجتمعية انطلاقًا من المنظومة التربوية والأخلاقية الإسلامية إلى إعادة النظر في تقويم المناهج التربوية الحديثة المتبعة في التربية والتعليم، وذلك لابتعاد جزء منها عن بعض القيم الإسلامية.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

١. أساليب الرسول في الدعوة والتربية، يوسف خاطر حسن الصوري، الدار الإسلامية، بيروت، ٢٠٠٨م.

٢. الإنسان ذلك المجهول: ألكسي سكارليل، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٧٥م.

٣. تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، ت٢٨٤هـ، مطبعة الغري، ١٩٤٠م، ج٢.

٤. التربية الإسلامية: دار إشبيليا، الرياض، ٢٠٠٢م.

٥. التربية وقضايا المجتمع المعاصر: حافظ فرج أحمد، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٣.

٦. تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات، ابن سينا الحسين بن عبد الله، دار الجوائب، بيروت، ١٢٩٨هـ.

٧. تعلم القيم وتعليمها: ماجد زكي الجلاد، دار المسيرة، عمان، الأردن، ٢٠٠٧م.

٨. تعلم القيم وتعليمها، ماجد الجلاد، دار المسيرة، عمان، الأردن، ٢٠٠٧م.

٩. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: ابن عبد البر، تحقيق د. بشار عواد وسليم محمد عامر ومحمد بشار عواد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، بيروت، ١٤٣٩هـ-٢٠١٨م.

١٠. تنمية القيم التربوية والنفسية للأبناء: السيد أحمد المخزنجي، الهيئة المصرية

العامة للكتاب، المكتبة الثقافية، القاهرة، ١٩٩٣م.

١١. حكمة الصين: فؤاد محمد شبل، دار المعارف، مصر، د. ت.

١٢. دور المرأة في بناء الشخصية المؤمنة خديجة عليها السلام أنموذجًا «بين الوعد السماوي والترتيب الأرضي»: د. اكسم فياض، بحث علمي موجود لدى العتبة الحسينية المقدسة للمشاركة في مهرجان مولد السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، ٢٠٢١.

١٣. الرسول العربي المربِّي، د. عبد الحميد الهاشمي، دار الثقافة للجميع، بيروت، ٢٠٠٦م.

١٤. الطبقات الكبرى: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي المعروف بابن سعد (ت ٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت ط١، ١٤١٠ هـ.

١٥. القوى الاجتماعية مدخل لدراسات الأنثروبولوجية والاجتماعية: محمد محمد الزلباني، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٤٠٨هـ، ١٩٧١م

١٦. القيم الإسلامية والتربية: علي خليل مصطفى، دار طيبة، ط١، بيروت، ١٩٨٠م.

١٧. القيم في الإسلام بين الذاتيَّة والموضوعيَّة: صلاح الدين بسيوني رسلان، دار الثقافة للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٠م.

١٨. القيم في العمليَّة التربوية: ضياء زاهر، مؤسسة الخليج، القاهرة،١٩٨٤م.

١٩. الكامل في التاريخ: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري المعروف بابن الأثير، ت٦٣٠هـ، تحقيق عمر عبد السلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٧م.

٢٠. لسان العرب: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: تحقيق: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٥.

٢١. المجالسة وجواهر العلم، أبو بكر أحمد بن مروان بن محمد الدينوري القاضي

المالكي، ت٣٣٣ هـ، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٢م، ج٢.

٢٢. المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني ت٤٣٠هـ، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٩٦م.

٢٣. مفاهيم تربوية وإسلامية: سلطان محمود السيد، دار المريخ للنشر، الرياض، ١٩٨٢م.

٢٤. المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي ت٩٠٢هـ، تحقيق محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٨٥م.

٢٥. من هدي النبوة: مؤسسة البلاغ، طهران، ٢٠٠٤.

٢٦. المنهج التربوي القرآني وأثره في إصلاح الفرد: د. مروان صباح ياسين، مجلة مداد الأدب، الجامعة العراقية، عدد خاص بالمؤتمرات، بغداد، ٢٠١٨م.

٢٧. النظرية الاجتماعية في الفكر الإسلامي: أصولها وبناؤها في القرآن والسنة: زينب رضوان، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢م.

٢٨. الهدي النبوي في تربية الأولاد في ضوء الكتاب والسنة: د. سعيد بن علي القحطاني، المكتبة العلمية- بيروت، ١٣٣٩٩هـ.